

استخدامات العلاج بالحجامة في الطب الرياضي وتفسيراتها العلمية

The uses of cupping therapy in sports medicine and its scientific explanations

خالد خواني¹*

¹ جامعة الشهيد حمة لخضر: الوادي (الجزائر)، khaledkhouani@gmail.com
تاريخ الاستقبال: 2021/09/12؛ تاريخ القبول: 2021/10/14؛ تاريخ النشر: 2022/01/31

ملخص: الحجامة طريقة علاجية قديمة عرفتتها مختلف شعوب العالم منذ آلاف السنين، عادت ممارسة الحجامة في مجتمعنا الجزائري بقوة فمارسها الطبيب والمعالج الشعبي وكثير الاقبال عليها، لأن لها خصوصية في المجتمعات العربية والإسلامية كونها تحمل طابعا دينيا، ومن المقبلين على الحجامة نذكر الرياضيين لغرض علاجي أو وقائي لما لمسوه فيها من فوائد وتحسن خاصة في عملية الاسترخاء والراحة النفسية لأنهم يعيشون ضغوطات المنافسات والخوف من الإصابات.

تهدف هذه الدراسة إلى التعريف بالحجامة، أنواعها، طرق الاستعمال، والأغراض المستعملة فيها من قبل الرياضيين، كما تناولنا النظريات العلمية الحديثة المفسرة لكيفية تأثير الحجامة على جسم المعالج بما.
الكلمات المفتاحية: علاج، حجامة، طب تكميلي، طب بديل، تفسيرات علمية للحجامة.

Abstract:

Hijama is an ancient therapeutic method practiced by different peoples of the world for thousands of years. The practice of the cupping therapy has come back strongly in our Algerian society, it is therefore practiced by doctors and popular medicine, it has a particularity in Arab and Islamic societies because it has a religious character. Several athletes treat with El hijama because they have felt benefits and improvements, especially in the process of relaxation and psychological comfort, as they live under the pressure of competition and fear of injury.

This study aims to define the suction cup, its types, methods of use and the purposes used by athletes, and we discussed modern scientific theories explaining the effects of the practice of hijama on human bodies.

keywords: Treatment, cupping, complementary medicine, alternative medicine, scientific explanations for cupping.

تمهيد:

يشهد المجتمع البشري تطوراً مستمراً على مستوى كل الأبعاد العلمية والتكنولوجية أو الاجتماعية والاقتصادية، وعلى الرغم من ذلك يبقى كل مجتمع محتفظاً بمعتقداته وإرثه الشعبي، ونحن نرى أن موضوع الحجامة تتلاقى فيه العقيدة الدينية مع العرف، والتقليد الشعبي، والطب.

تعد الحجامة ممارسة علاجية قديمة جداً تاريخياً، وبالتالي قد تصنّف ضمن الرواسب الثقافية التي هي عبارة عن مخزون الثقافات القديمة من معتقدات وطقوس وممارسات وطرائق عيش وأنماط العلاجات إلى غير ذلك، جاءت ممارسة الحجامة كنمط من أنماط الطب الشعبي كأحد عناصر التراث المحلي بمثابة الأنماط الثقافية التي تسير وفقاً لضوابط محددة بحدود الزمان والمكان، فارتبطت بجهود الإنسان ومشاعره وقدرته على الإبداع والتكيف ولسعيه المستمر من أجل البقاء والتميز والمحافظة على خصوصيته الثقافية.

تصنف الحجامة ضمن الطب التكميلي أي مكملاً للطب الحديث تمارسها العديد من الشعوب الإسلامية منها خاصة وغير إسلامية في علاجاتها، مثلاً تعتبر ضمن العلاجات في الطب الصيني المشهور بممارساته المعتمد على الوسائل والطرق الطبيعية المتنوعة، حتى دخلت في عصرنا الحالي مجال الطب الرياضي لاقبال الرياضيين على الاستشفاء أو الوقاية بما لما وجدوا فيها من فوائد سواء على المستوى العلاجي أو الراحة النفسية، مما جعلنا نتساءل عن الأغراض التي تستعمل فيها الحجامة في الطب الرياضي، وعن النظريات العلمية خاصة الطبية منها والتي تفسر كيفية تأثير الحجامة على جسم الإنسان؛ فهذه التساؤلات تبرز أهمية الموضوع ومن ثم الوصول إلى الأهداف التي توضح وتفسر بطريقة علمية فوائد الحجامة الوقائية والعلاجية سواء في الطب العام أو الطب الرياضي موضوع الدراسة.

1. المفاهيم الأساسية المرتبطة بالدراسة:

1.1. الحجامة: لغويًا إن كلمة الحجامة مشتقة من حَجَمَ وَحَجَّمَ، نقول: حَجَّم فلانٌ الأمر أي: أعاده إلى حجمه الطبيعي. وأحجم ضد تقدم، ورد في لسان العرب: الحَجْمُ يعني المصّ. يقال: حَجَمَ الصبيُّ نُدِي أُمه إذا مصه. ونُدِي " محجوم " أي ممصوم والحَجَامُ: المصّاص. قال الأزهري: يقال للحاجم حَجَامٌ لا فِتْصاصه فم المِحْجَمَة، و"المحجمة" بالكسر القارورة، وتطرح الميم فيقال " محجم " وجمعه " محاجم ". (ابن منظور، 1992، ص 117-118)

أمّا ابن الأثير فجاءت عنده بكسر الميم: المِحْجَمُ، بالكسر، الآلة التي يجمع فيها دم الحِجامة عند المصّ، قال: والمِحْجَمُ أيضاً مشرطُ الحَجَامِ؛ يُنظر "للحجم" عل أنه فعل "الحاجم" وهو "الحجام"، و"احتجم" أي طلب الحجامة، وهو "محجوم" (ابن الأثير، د.ت، ص 347) وقال الكحال: "الحجم بكسر الميم وفتح الجيم هي الآلة التي تمتصّ ويجمع بها موضع الحجامة، والمراد بها: الحديدية التي يشترط بها موضع الحجامة ليخرج الدم (ابن طرخان الحموي، 2004، ص 69)". قد يأخذ معان أخرى منها ما هو من قبيل الاستعمال في مثل، والحجم أو التحجيم يعني التقليل من الشيء؛ يقال: حَجَّم من قيمة الشيء أي قلّل من قيمته؛ أو حَجَّم الشيء أي أعاده إلى نصابه.

أما الحجامة اصطلاحاً فمن الناحية العلمية هي عملية جراحية بسيطة تتمثل بعملية سحب أو مصّ الدّم من سطح الجلد باستخدام كؤوس الهواء، بدون إحداث أو بعد إحداث خدوش (جروح) سطحية بمشرط معقّم على سطح الجلد، في مواضع وأماكن معيّنة، حسب كل مرض من الأمراض أو تمارس كذلك للوقاية خشية الإصابة بالأمراض.

تنقسم الحجامة إلى نوعين:

– الحجامة الرطبة (المبزغة) أو الحجامة المدماة: وهي التي نخرج بواسطتها الدم من سطح الجلد بإحداث خدوش لا يتجاوز عمقها 0.1 مم، وبطول حوالي 4 مم تتركز جميعها في منطقة معيّنة. (جاد، 2013، ص 54)

– الحجامة الجافة: بدون إحداث خدوش، تتم بوساطة عملية تثبيت كاسات الهواء على جسم المريض كما في الحجامة الرطبة ولكن بدون خروج الدم. يعتبر هذا النوع من الحجامة نافع جداً للألام المفاصل، وهذه الطريقة تعد من أفضل الطرق لتخفيف ألام أسفل الظهر. أما في البعد العملي فيترك الكأس في مكانه بعد تفريغ الهواء حتى يجمّر الجلد، أما إذا لم يحدث هذا الاحمرار فمعنى ذلك أن المكان غير مناسب لهذا النوع من الحجامة. (بن أحمد، 2002، ص ص 23-24)

في الحجامة الجافة هناك من يستعملها في عملية التدليك والتي تسمى بالحجامة المنزلقة أو المتحركة (المساجية). وهي طريقة الحجامة الجافة ذاتها ولكن مع دهن الحواف الداخلية للكأس ومكان الحجامة بمادة زيتية (زيت الزيتون مثلاً) مما يسمح للمعالج بتحريك الكأس وانزلاقها في اتجاهات معينة حول الموضوع المطلوب بحيث يظل الجلد تحت قوة سحب بسيطة ومتحركة. والهدف من العملية جذب الدم من العضلات وتجميعه في طبقة الجلد، وتستعمل هذه الطريقة خاصة في الأمراض التي تصيب عضلات الظهر. (Jiang, 1996, p 229).

أما من حيث أدواتها وتقنية ممارستها ففي عصرنا الحديث، تستخدم كاسات هواء (ventouse) مصنوعة من البلاستيك أو الزجاج قابلة للتعقيم، ويفرغ الهواء منها بوساطة ماصة (مفرغة للهواء) يدوياً أو بوساطة جهاز خاص لشفط الهواء، وهذا يولد في الكأس ضغطاً سلبياً يساعد على شفط الدم وتجميعه، وبوجود صمامات خاصة في الكأس تمنع دخول الهواء إليه بعد إفراغه، وهذه الطريقة هي من أكثر الطرق انتشاراً لسهولة استخدامها وزهد ثمنها وتوفرها في جميع دول العالم، وأكثر الدول شهرة في صناعتها الصين وماليزيا. تعقم الكؤوس البلاستيكية بعد غسلها جيداً. بنقعها بمادة مطهرة قوية المفعول، فمثلاً إذا نقعت في الكحول بتركيز 70% يجب أن تنقع من 36-48 ساعة حتى نتخلص من جميع الجراثيم التي علق بها، وهناك بعض المواد المطهرة الفعالة جداً تحتاج وقتاً أقل من الكحول، ويمكن استخدام المواد المعقمة للأدوات الجراحية التي لا يمكن تعريضها للحرارة. (صهباى بندق، 2008، ص 65).

أما الكاسات المعدنية والزجاجية فتعقم بوساطة الحرارة في (الأوتوكلاف) Autoclave. (Morin et al ; p 114) والأفضل والأسلم دائماً هو استعمال أدوات حجامة خاصة لكل مريض أو استعمال الكاسات التي تستخدم لمرة واحدة فقط.

2.1. الطب الرياضي:

يُعرف الطب الرياضي باللغة الإنجليزية بمصطلح (Sports Medicine)، وهو فرعٌ من علم الطب الذي يهتم بتقديم العلاجات الطبيّة للاعبين الرياضيين، ويعتمدُ على تطبيق مجموعةٍ من طرق علاج الأمراض الرياضيّة، وتحديد نوعيّة الوسائل المناسبة للتعامل معها، وأيضاً يُعرف الطب الرياضي بأنه نوعٌ من أنواع التأهيل الرياضي الذي يتم تقديمه للرياضيين، والأشخاص الذين يمارسون الألعاب الرياضيّة، ويساهم في توفير الوقاية اللازمة من الإصابات الرياضيّة.

ومن التعريفات الأخرى للطب الرياضي: هو أحد أقسام علم الطب العام، والذي يهتم بدراسة وظائف ومكونات أعضاء الجسم الداخليّة والخارجيّة؛ لیساعد الأطباء على تقديم العلاج الصحيح للأشخاص الذين يتعرضون لإصابةٍ أثناء ممارسة إحدى الألعاب الرياضيّة.

استخدم للمرة الأولى مصطلح الطب الرياضي في عام 1896م، عن طريق تطبيق مجموعةٍ من العلاجات الطبيّة على الرياضيين الذين تعرضوا للإصابة أثناء الألعاب الأولمبيّة، وتم تحويله إلى فرعٍ طبيّ دراسي في عام 1913م عندما تم تأهيل وتدريب عددٍ من الأطباء حتى يصبحوا متخصصين في الطب الرياضي.

في عام 1920م تم إنشاء الجمعية الرياضيّة الطبيّة بالتزامن مع انطلاق الألعاب الأولمبيّة الشتويّة، والتي اعتمدت على نشر فكرة الطب الرياضي بصفته الوسيلة المناسبة لتقديم العلاج للرياضيين، وخصوصاً العلاجات الفوريّة عند تعرضهم للإصابات أثناء المباريات الرياضيّة. في عام 1928م أُعلن عن إقامة المؤتمر الطبي الأول للطب الرياضي في مدينة أمستردام في هولندا، وشارك في المؤتمر العديد من الأطباء من معظم دول العالم، وساهم هذا المؤتمر في التعزيز من دور الطب الرياضي، ودوره في التعرف على الحالات المرضيّة، والإصابات

التي يتعرض لها الرياضيون، وفي أواخر القرن العشرين للميلاد أصبح الطب الرياضي من أحد الفروع العلمية التي تُدرس في الجامعات العالمية. كما لا يستثني الطب الرياضي العلاجات الطبيعية في ممارساته ويعمل على تطويرها بالأدوات والتقنيات الحديثة.

من أهداف الطب الرياضي:

- تطوير الأفكار المرتبطة بالعلاج الطبي في مجال الألعاب الرياضية؛
- متابعة اللياقة البدنية عند الرياضيين، والتأكد من حالتهم الصحية، وخصوصاً للذين عانوا منهم من إصاباتٍ سابقة.
- وضع مجموعةٍ من الدراسات العلمية، والطبية التي تساهم في التعرف على تفاصيل الأمراض، والإصابات الرياضية بوضوح.
- تنظيم الاجتماعات والمؤتمرات التي تهدف إلى جمع الأطباء، وتشجيعهم على العمل ضمن مجال الطب الرياضي.
- تعزيز التعاون بين الجمعيات المتخصصة بالطب الرياضي، ومنظمات الصحة الدولية.
- نشر مجموعةٍ من المجالات، والمنشورات العملية المتخصصة حول علم الطب الرياضي.
- رفع اللياقة البدنية عند الرياضيين والفرق الرياضية، من خلال توفير طبيبٍ مختصٍ لهذه الفرق، يحرص على متابعة حالتهم الطبية بشكلٍ مستمرٍ، بدلاً من اللجوء إلى المستشفيات التي قد تؤثر في سير التدريبات الرياضية، فظهر الطب الرياضي الحديث ليوفر الوسائل المناسبة لتقييم الحالة الصحية للرياضيين ضمن أماكن وجودهم في الملاعب، والنوادي الرياضية. (مفهوم الطب الرياضي/ <https://mawdoo3.com/> (زيارة 2021/05/02) بتصرف

2. الأغراض التي تستعمل فيها الحجامة في الطب الرياضي:

تختلف حياة الرياضيين عن غيرهم، حيث يخضعون لنظام خاص من التحضيرات البدنية والنفسية المستمرة لاستمرار المنافسات، فيلجؤون في العديد من الحالات للطب التكميلي ومنه الحجامة للحفاظ على لياقتهم البدنية واستعداداتهم النفسية.

فنتعدد الأغراض التي تستخدم فيها الحجامة على الرياضيين نذكرها كالتالي:

1.2. لعلاج آلام العضلات أو الوقاية من الوقوع فيها:

أما تأثير الحجامة على العضلات فهي تعمل على:

- تنشيط الدورة الدموية في العضلات فتفك التقلصات العضلية (Crampe musculaire).
- إخراج التجمعات الدموية الموجودة داخل العضلات نتيجة الكدمات ناحية الجلد.
- توصيل الأكسجين اللازم للألياف العضلي (Fibres musculaires) والذي يزيد استهلاك الخلايا له بعد عمل الحجامة، فتعمل على تقوية العضلات وتحسين أدائها.
- إخراج حمض اللاكتيك (Acide lactique) من العضلات فيزول الإجهاد والشد العضلي. (رزق شرف، 2005، ص 33)

2.2. لعلاج آلام المفاصل والعظام أو الوقاية من الوقوع فيها:

أما تأثير الحجامة على المفاصل والعظام فهي تعمل على:

- تنشيط الدورة الدموية داخل المفصل فتقلل الألم الناتج عن الأمراض الروماتيزمية وغيرها.
- تعمل مادة النيتريك أكسيد (Oxyde nitrique NO) التي تتكوّن نتيجة أي إصابة أو التهاب يحدث للجسم بوظائف عدة منها توسعة الأوعية الدموية (vasodilatation)، ناقل لعوامل النمو ومساعد على تكوين أوعية جديدة (angiogénèse) ناتجة عن تفرعها من الأوعية الرئيسية، على تقليل الورم المصاحب للإصابات (oedèmes) والتجمّع المائي الموجود في المفصل نتيجة الالتهاب، وناقل للمواد المسكنة الطبيعية كالأندورفين (endorphines). (رزق شرف، 2005، ص 41)

- تنشيط الغشاء السينوفي (Membrane synoviale) لإفراز المادة الزيتية أو السائل السينوفي الذي يعمل على تقليل الاحتكاك في المفصل وتسهيل الحركة ومن ثمَّ إبطاء حدوث الخشونة.
- تنشيط واستثارة الغشاء المحيط بالعظام (Periostium) لبناء العظام وزيادة نسبة الكالسيوم فيها.
- إخراج المواد الضارة المترسبة في المفاصل مثل بلورات حمض البوليك (Acide urique) التي تسبب مرض النقرس وقد تسبب خشونة المفاصل. (جاد، 2013، ص 88)

3.2. الاسترخاء وتخفيف الضغط على الرياضي:

يعيش الرياضي خلال مسيرته الرياضية ضغوطات المنافسات، والخوف من الوقوع في الإصابات، كما يحتاج إلى عمليات الاسترجاع بعد كل تدريب أو منافسة، كما نشير إلى أهمية عامل التحضير النفسي للرياضيين قبل دخولهم أو مشاركتهم في أي منافسة رياضية، فليجأ العديد من الرياضيين إلى الحجامة لمفعولها الإيجابي بشهادة العديد من الرياضيين في التخفيف عليهم من الضغوطات كما تساعدهم على الاسترخاء بعد كل عملية إجراء لها.

فيتمثل تأثير الحجامة على الجهاز العصبي من خلال العمل على:

- استثارة نهايات الأعصاب الحسية في الجلد مما يؤدي إلى تقليل الإحساس بالألم عن طريق نظرية البوابة وهي عبارة عن شغل مسارات الأعصاب الناقلة للألم المرض بمثير أقل ألماً (الحجامة) فلا يصل الألم الأساسي إلى المخ ولا تعالج الحجامة فقط المكان المصاب ولكن يصل تأثيرها إلى المناطق التي تغذيها هذه الأعصاب.
- تنظيم الإشارات وزيادة سرعة التوصل للأعصاب الخارجة من الحبل الشوكي والتي تغذي جميع أعضاء الجسم فتُنظم عمل هذه الأعضاء.
- علاج مشاكل الجهاز السمبثاوي (Sympathique) والناتجة عن القلق والخوف والعصبية، وهذه المشاكل مثل الصداع المزمن والإجهاد والضغط المرتفع وذلك عن طريق تنظيم الإشارات العصبية في الجهاز السمبثاوي.

3. التفسيرات العلمية الحديثة لكيفية تأثير الحجامة على الجسم:

أفادتنا البحوث التي تناولت الحجامة بالدراسة والبحث، بجملة من النظريات التي تفسّر ما يحدث أثناء الحجامة، كما كشفت لنا عن الكيفيات التي تمكّن المحجوم من الشفاء.

تعدّدت النظريات المفسّرة لما يحدث أثناء الحجامة وكيفية الشفاء التي تحدّثه هذه العملية البسيطة. ولكل نظرية تفسيرها الخاص

بما ودراسات عميقة عليها. وهذه النظريات هي:

1.3. نظرية الإرتواء الدموي:

تعتمد هذه النظرية على مبدأ الدم المحجوم. فعندما حلّل هذا الدم وجد به الكثير من الشوارد الضارة (الأخلاط) . وكذلك وجد أن جميع خلايا الدم الحمراء التي كانت في الدم المحجوم هرمة وغير طبيعية الشكل، ونسبة الهيموجلوبين كانت أقل من الدم الوريدي بنسبة الثلث إلى العشر وعليه فإنّ دم الجسم قد تخلص من جزء كبير من هذه السموم التي كانت عالقة به ليصبح أداؤه في حمل الأوكسجين أكبر وكذلك توزيع الغذاء فيه أكفأ. فعملية إزالة الدم المحتقن من موضع الحجامة (علما أنّه لا يوجد دم فاسد داخل الجسم بصورة فعلية) يعطي الجسم المقدرة على تقوية الأعضاء الداخلية المعتلة بمدّها بالغذاء وأسباب الحياة، وبذلك يعود نشاط هذه الأعضاء إلى طبيعتها وتصبح أقدر على مقاومة المرض. (مصباحي، 2007، ص 33).

في حال ظهور حمرة في البدن وشعور بالصداع والخمول أو الدوار و الانفعال الزائد أو حدوث اضطرابات بصرية أو زيادة في الألم

ككل، فبعض ذلك أو كل هذه الأعراض تستدعي إجراء الحجامة. (مصباحي، 2007، ص 35)

إنَّ أفضل وقت لسحب الدم هو وقت ترسب هذه الأخلاط وهذا الوقت يتسنى بعد النوم وفي ساعات الصباح الأولى، ومن الأفضل على الرقيق. ومن السنة النبوية الشريفة أن تجرى الحجامة في الأيام الفردية دون الزوجية حيث ثبت أن الدم المسحوب في هذه الأيام الفردية له خصائص دم الحجامة أما ذلك المسحوب في الأيام الزوجية فليس له خصائص معينة بل هو دم وريدي عادي كما اثبت ذلك الفحوص المخبرية، وما زالت هذه المفارقة بحاجة إلى دراسة وفهم لإثباتها من ناحية وكشف سرها من ناحية أخرى. ويوجد أكثر من بحث في هذا المجال لهذه النظرية، للعالم الياباني kakurciha الذي استدل على حقيقة واحدة استنتجها بعد أن ركز أبحاثه على الحجامة وهي أن الشوائب في الدم هي السبب في إصابتنا بالأمراض المختلفة. (غسان، 2005، ص 104)

2.3. نظرية رد الفعل الانعكاسي. (أو النظرية العصبية):

تقوم هذه النظرية على الربط ما بين موضع الحجامة على الجلد والعضو المراد تحفيزه على الشفاء، وهذه النظرية تعزى إلى تطور الجنين من طبقاته المختلفة حيث نجد الربط بين خلق الجلد من طبقة والعضو المراد علاجه من نفس هذه الطبقة، بعملية رد فعل تسمى (رد الفعل الانعكاسي). ويتفسير آخر لهذه النظرية أن المنطقة المحجومة لها تأثير غير مباشر على الأعضاء التي يغذيها نفس العصب الذي يعطي الإحساس لتلك المنطقة من الجلد أو المشترك بنفس الجملة العصبية و مثال ذلك الحجامة على الكاهل تشفي ألم المعدة والمرارة والحجامة على أسفل الظهر للشفاء من عرق النسا. (جاد، 2013، ص 72)

يقول الأستاذ الدكتور محمد كمال عبد العزيز أستاذ بكلية الطب . جامعة الأزهر . القاهرة (أن الأحشاء الداخلية تشترك مع أجزاء معينة من جلد الإنسان في مكان دخول الأعصاب المغذية لها في النخاع الشوكي أو النخاع المستطيل أو في المخ المتوسط. وبمقتضى هذا الاشتراك فإن أي تنبيه للجلد في منطقة ما من الجسم يؤثر على الأحشاء الداخلية المقابلة لهذا الجزء من الجلد. (جاد، 2013، ص 73)

والحجامة وسيلة من وسائل علاج الألم القائمة على القاعدة التي يطبقها كلٌّ منها تلقائياً عندما يشعر بألم (حكمة) في أي جزء من جلده، فإنه يقوم بتدليك (هرش) المكان فلا يشعر بالألم بعد ذلك. وتعليل ذلك يقوم على النظرية العلمية للعالم الفيزيولوجي (بافلوف) والتي تسمى التثبيط الواقعي للجهاز العصب؛ فعندما يصل التنبيه إلى المخ عن طريق الأعصاب فإن المخ يترجم هذا التنبيه حسب مصدره ونوعه، أي يحدد نوع التنبيه، الملمس أو حرارة أو برودة، ولكن إذا وصل عدد التنبهات التي تصل إلى المخ في وقت واحد إلى عدد كبير، فإن المخ لا يستطيع التمييز بينهم، فيلغي الشعور من المنطقة التي زاد فيها عدد التنبهات. وفي حالة الحجامة تخرج التنبهات من نهاية الأعصاب في المنطقة المحتجمة بأعداد كبيرة فيقوم المخ بإلغاء الشعور من المنطقة ويزول الألم. وهذه النظرية مطبقة على كثير من أجهزة العلاج الطبيعي. (ملفي الشهري 2006، ص 107)

3.3. نظرية الطب الصيني:

تعتمد هذه النظرية على التوازن ما بين السالب والموجب (الين واليانج) وهي مماثلة لنظرية الأمزجة القديمة ولتبسيط نظرية الطب الصيني نقول أن جسم الإنسان مكون من أعضاء وهذه الأعضاء يتحكم بها ين ويانج إذا بغى أحدهما على الآخر أو ضعف أحدهما يحدث الاضطراب في عمل العضو ويحدث عندها المرض (ملفي الشهري، 2006، ص 108).

فإذا أردنا شفاء المرض وجب علينا إعادة التوازن ما بين الين واليانج ويتأت ذلك عن طريق التحكم في مسارات الطاقة التي على الجلد فالحجامة بمواضعها المختلفة هي في الواقع نقط الوخز بالإبر الصينية والتي تنقسم إلى ثلاث مستويات هي: (حمد توفيق، 2005، ص 258):

– النقاط النظامية وهي المناطق التي تقع على خطوط الطاقة الأربعة عشر المعروفة في الطب الصيني.

– النقاط الغير نظاميه وهي مناطق لا تتبع خطوط الطاقة ولكنها قد تتقاطع معها.

– نقاط رد الفعل الانعكاسي وقد تكون هذه نقاط نظاميه أو غير نظاميه لكنها تشترك في كونها مؤلمه عند الضغط عليها أو أنها تنبض بالألم. وبما أننا نقوم بعمل شفط للدم من هذه النقاط فإننا في الواقع نقوم بإعادة التوازن إلى السالب والموجب في الجسم، لذلك تعتبر الحجامة أقوى من الوخز بالإبر الصينية وأبلغ في التأثير في مسارات الطاقة. (أحمد توفيق، 2005، ص ص 266-270)

يعتمد الشفاء في الطب الصيني على مقدار ما نقوم به من إثارة لمواضع الحجامة فإذا كان المرض حاداً وغير مزمن وجب أن تُثار النقاط بعنف أما إذا كان المرض مزمن فيجب إثارة هذه النقاط بلطف وعلى فتره طويلة وهذا ما يحدث أثناء عملية الحجامة حيث تستثار مناطق الحجامة بعنف أثناء عملية التشريط وخروج الدم. فيستفيد في هذا الوقت المرض الحاد وتختفي الأعراض المرضية بسرعة (مثل الألم والحمى). أما تجمع الدم واحتقان وتلون الجلد باللون الأحمر الداكن هي بحد ذاتها الإثارة اللطيفة التي قد تستمر لثلاثة أسابيع ، وهذا ما يُلاحظ عند كثير من المرضى حيث يفيد انه استفاد من الحجامة لمدة أسبوعين أو أكثر لكن الألم عاوده من جديد ولكن اقل حده . لذلك يُنصح المرضى متابعة العلاج حتى يتحقق الشفاء بإذن الله. (ملفي الشهري، 2006، ص 109)

تعرف مواضع الحجامة في الطب الصيني بأنها مواضع خاصة على الجلد يتم من خلالها نقل الطاقة الحيوية من الأعضاء الداخلية المختلفة إلى الجلد وبالعكس. ومعناها الحربي في اللغة الصينية هو النقل من البئر. تحثُ عملية الشفط أثناء الحجامة الطاقة الحيوية على الصعود إلى سطح الجلد وهنا يتم التعادل والتوازن ما بين الين واليانج الذي ينعكس بصوره مباشره على عمل العضو المعطل. أثبتت الدراسات الحديثة أنّ الحجامة من أفضل الطرق لإحداث الاسترخاء في العضلات العميقة وأصبحت تفضلها على الطرق التقليدية للتدليك (massage) الذي يستخدم الضغط والفرك الشديد للوصول لهذه العضلات. (احمد توفيق، 2005، ص ص 263-264).

ويطلق عليها أيضا اسم نظرية خطوط الطاقة (Electro magnetic theory)

تعتمد هذه النظرية على نفس أساس عمل الإبر الصينية حيث تعد خطوط ومسارات الإبر الصينية مسارات وهمية داخل الجسم لسريان الطاقة المغناطيسية والطاقة الحرارية في الجسم وعدد هذه المسارات 14 مساراً يختص كل مسار منهم بعضو أو أكثر داخل الجسم وتحتوى هذه المسارات على بعض النقاط التي يتم من خلالها التحكم في مستوى الطاقة في المسار وفي الجسم عامة ويمكن استثارة هذه النقاط بعدة أساليب مثل الضغط بالأصابع أو بالإبر الصينية أو بالحرارة أو بأجهزة التنبيه الكهربائي أو بتركيب كأس حجامة فوق نقطة الإبر الصينية مع تشريطها أو بدون تشريط وقد أثبت العالم الألماني يوهان أبيلي أن استثارة نقاط الإبر الصينية بالحجامة يفوق عمل الإبر الصينية عدة مرات.

وقد ترتبط أمراض الجسم بزيادة في مستوى الطاقة في مسارات معينة وتحتاج هذه المسارات إلى عمل حجامة دموية لتقليل هذه الطاقة وقد ترتبط أيضاً بنقص مستوى الطاقة وتحتاج هذه الأمراض إلى عمل حجامة جافة أو مساج بالحجامة لزيادة الطاقة داخل هذه المسارات.

4.3. مادة نيتريك أكسيد (No) :

تتكون مادة نيتريك أكسيد نتيجة أي إصابة أو التهاب يحدث في الجسم فنتنتج كذلك مع تشريط الحجامة وهذه المادة هي المسؤولة عن معظم التحسن الذي يحدث مع الحجامة إذ أن لها عدة وظائف مثل:

- توسعة الأوعية الدموية (Vasodilatation) ؛
- ناقل للمواد المسكنة الطبيعية كالإندورفين والإنكفالين؛
- ناقل لعوامل النمو وانقسام الخلايا. (Proliferation) ؛
- تصنيع أوعية دموية جديدة (Angiogenesis) ؛
- تقليل الورم المصاحب للإصابات (Edema) ؛
- زيادة الغذاء الواصل عن طريق الشعيرات الدموية والشرابين إلى أنسجة الجسم المختلفة
- زيادة تأثير المضادات الحيوية على الأنسجة.

5.3. نظريات علاج الآلام بالحجامة:

1.5.3. نظرية البروستاجلاندين: (Prostaglandin)

حيث تقوم الحجامة بإخراج مادة البروستاجلاندين والناجمة عن التهابات الخلايا وهذه المادة وظيفتها نقل إشارات الألم إلى المخ، ففي الحجامة يتم إخراج هذه المادة مع الدم الذي يتم إخرجه فيقل إحساس المريض بالألم وتعمل معظم المسكنات الكيميائية على منع تكوين هذه المادة حتى لا تنقل إشارات الألم إلى المخ . مع ملاحظة أن الحجامة ليس لها أضرار على الإطلاق بينما المسكنات غير الستيرويدية مثل (البيروكسيكام و الديكلوفيناك وغيرها) أو الستيرويدية مثل (الكورتيزون ومشتقاته) لها أضرار على المعدة إذ قد تسبب إتهابات أو قرح بالمعدة ولها تأثير أيضاً على الكلى فقد تؤدي إلى فشل كلوي ونقص ترشيح الكلى للفضلات في الدم أو التهابات بالكلى وقد تسبب نقص نشاط نخاع العظام في تصنيع كرات الدم الحمراء أو تسبب فقدان للشهية وغثيان. (محمد الزكي، 2013، ص 181)

2.5.3. نظرية البوابة: (Gate theory)

تفسر هذه النظرية عمل الحجامة في تخفيف الآلام بأن الألم الذي تسببه قوة شفط الحجامة يعمل على شغل المسار العصبي الذي يعمل على توصيل الإحساس بالألم إلى المخ ، وعندما يصل إلى المخ مثير أو إحساس آخر غير إحساس الألم يمنع الألم أن يصل إلى المخ وبالتالي لا يحس المريض به، وهذا نفس عمل لصقة الظهر المخففة للآلام، وأيضاً بعض المراهم التي تعالج الأمراض الروماتيزمية والتي تسبب إحساس بإرتفاع درجة حرارة المكان. (محمد الزكي، 2013، ص 161)، من خلال:

– تنشيط إفراز الإندورفين والإنكفالين:

تعمل الحجامة على تنشيط إفراز مادتي الإندورفين (Endorphines) والإنكفالين (enkephalines) اللتان تعملان على تقليل الإحساس بالآلام وهاتان المادتان تفرزان نتيجة الألم البسيط الذي يسببه الشفط والتشريط في عملية الحجامة ، كما تعمل مادة النيتريك أكسيد (NO) على زيادة إفراز هاتين المادتين من منطقة معينة في المخ نتيجة تأثير العوامل الخارجية كالإصابات أو الجروح ويدل على ذلك أن الشخص حينما يكون منهمكاً في العمل قد لا يحس بالجروح البسيطة التي قد يتألم منها أثناء فراغه ثم بعد ذلك يكتشف أنه قد جرح بعد أن يهدأ جسمه ، ويساعد على إفراز هذه المواد كلها الحالة النفسية الجيدة إذ تسمى هذه المواد مواد الفرح الداخلية (endogenous pleasure substances) ويقل إفرازها كلما ساءت الحالة النفسية. (جاد، 2013، ص 17)

– تنشيط الدورة الدموية يقلل الألم:

لفهم هذه الطريقة لتخفيف الألم لابد من شرح عملية ارتباط الألم بنقص الدورة الدموية في المكان وهي كالتالي:

يسبب الألم حدوث تقلص عضلي في العضلات المحيطة بمكان الألم ويسبب هذا التقلص حدوث نقص في حركة المفصل المصاب وحركة المريض عامة ويسبب عن هذا النقص في الحركة نقص في الدورة الدموية وركود للدم في المكان المصاب ونقص الدورة الدموية يسبب حدوث الألم مرة أخرى لذلك فإن الحجامة تعمل على فتح هذه الدائرة عند منطقة الألم وعند منطقة نقص الدورة الدموية فهي تعمل على

تقليل الألم بطرق مختلفة وتعمل أيضاً على تنشيط الدورة الدموية لذلك فإنها تفيد كثيراً في جميع الآلام التي تصاحبها تقلصات عضلية حيث تعمل على تقليل التقلص العضلي. (محمد الزكي، 2013، ص 167)

– نظرية إخراج المواد المسببة للألم:

تعمل الحجاممة على إخراج المواد المسببة للآلام والتي وضحتها النظرية الكيميائية لحدوث الآلام وهي المواد الناتجة عن موت الأنسجة أو التهابها مثل مادة البراديكينين (Bradykinin) ومادة الهيستامين (Histamine) وإخراج هذه المواد لا يعمل فقط على تقليل الآلام ولكن على تقليل الالتهاب الحادث في المكان المصاب أيضاً. تعمل مادة الهيستامين التي هي من ضمن نواقل الالتهاب (Inflammatory mediator) على حدوث اتساع في الأوعية الدموية وانقباض العضلات اللاإرادية الناعمة (Smooth muscles) الموجودة في الشعب الهوائية مسببة ضيق التنفس الذي يحدث في حالات الأزمة الربوية والعديد من الأمراض الرئوية. (محمد الزكي، 2008، ص 182)

وحين يتم إخراج هذه المادة عن طريق الحجاممة تتسع الشعب الهوائية في الرئتين ويستطيع المريض أن يتنفس بحرية وتعمل مادة الهيستامين أيضاً على ظهور بعض أنواع الحساسية والالتهابات مثل البقع الحمراء في الجلد (Flushing) والحساسية لبعض أنواع الطعام (Urticaria) وحدوث تورم (Angioedema) والتهاب العين (Conjunctivitis) وحساسية الأنف (Rhinitis) وهبوط ضغط الدم. (Hypotension) كما تعمل الحجاممة على إخراج حامض اللاكتيك الذي يسبب تراكمه في العضلات حدوث الآلام والإجهاد العضلي. (محمد الزكي، 2008، ص 182)

6.3. المفعول المناعي للحجاممة (تنشيط مناعة الجسم):

بعد عملية الحجاممة لوحظ زيادة قوة النظام الدفاعي للجسم، فقد وجد أن بعض النقاط لها خاصية زيادة الكريات الدموية البيضاء في الدورة الدموية وكذلك الجاما جلوبيولين (gamma-globulin) والأجسام المناعية المختلفة ربما بمقدار مرتين أو ثلاث أو أربع أضعاف معدلها قبل التجربة. كما لوحظ انخفاض مستوى السائل المفصلي التفاعلي في أمراض الروماتيزم بعد التعامل مع النقاط ذات التأثير المناعي، وهو سائل ينتج عن التهاب المفاصل ويصاحبه تقلص في العضلات، وهذا يعني تحسن الدورة الدموية وارتفاع المقاومة المناعية للجسم مما يساعده على امتصاص السائل المفصلي الذي يسبب الألم. (جاد، 2013، ص 19)، كما أثبتت بعد التحاليل المناعية زيادة مادة الأنترفيرون (interferon) بعد الحجاممة خاصة وأن وجوده يقلل من الإصابة بمرض السرطان. أظهرت دراسة قامت بها الدكتورة صهباء بندق عام 2005 أن العلاج بالحجاممة له فعاليته في إحداث تأثير تنظيمي على عناصر الجهاز المناعي الخلوية، من ذلك أن العلاج بالحجاممة يدعم تكاثر الخلايا القاتلة طبيعياً، ما يعني استنفار وتحفيز القدرة المناعية لتلك الخلايا؛ وهو ما يعزز دفاعات الجسم الطبيعية ضد العدوى بأنواعها والتحويلات السرطانية. (صهباء بندق، 2008، ص 93)

II – الخلاصة:

يمكن تفسير تأثير الحجاممة على جسم الإنسان، وعلى موضع الألم في شفاء العديد من الأمراض من خلال عدد من المفاهيم والنظريات الطبية الحديثة وهي بمثابة مواضيع بحثية يستحسن التوسع فيها أكثر لإثباتها واكتشاف تفسيرات علمية أخرى تؤكد مفعول الحجاممة العلاجي والوقائي والتي نوجزها كالتالي:

– يؤدي التشريط أثناء عملية الحجاممة إلى تجمع دموي في جزء محدد من أنسجة الجلد وهو ما يساهم في تنشيط الدورة الدموية، مما يتبعه من زيادة الأكسجين للعضلات وتحسين التمثيل الغذائي، حيث أن معظم حالات الألم ناتجة من خلل في الدورة الدموية في مناطق محددة.

- تقوم عملية الحجامة خاصة على مواضع محددة من الظهر (خاصة منطقة الكاهل) باستثارة الجهاز العصبي المرتبط بعمل الأعضاء المختلفة وبالتالي تساهم في الشفاء.
 - ينشط الشفط أثناء الحجامة عمل جهاز المناعة بالجسم، فسحب الدم يؤدي إلى توسيع الأوعية الدموية مما يسهل عملية التخلص من مسببات الألم والمرض.
 - يزداد نشاط الهرمونات التي تؤثر على العديد من أعضاء الجسم كنتيجة لزيادة نشاط الخلايا في موضع الحجامة.
- جميع هذه التفسيرات تفتح آفاقاً علمية جديدة لبحوث أكثر تقدماً ودقة الغرض منها الوصول إلى علاجات مفيدة لصحة جسم الإنسان دون أعراض جانبية وبأقل التكاليف إن أمكن ذلك.

- الإحالات والمراجع :

- ابن منظور. (1992). لسان العرب. ج3، ط1. بيروت: دار صادر.
- ابن الأثير. (د ت). النهاية في غريب الحديث، ج1. طبعة المكتبة الإسلامية.
- ابن طرخان الحموي الكحال علاء الدين. (2004). الأحكام النبوية في الصناعة الطبية. ط1، دار ابن حزم.
- أحمد توفيق حسام. (2005). علم الحجامة الحديثة. ط1، الأهلية للنشر والتوزيع.
- بن أحمد عبد الحميد. (2002). إبلاغ الفهامة بفوائد الحجامة. ط1. عجمان: مكتبة الفرقان.
- محمد الزكي جمال. (2008). الموسوعة العلمية في الحجامة. المدينة المنورة: شركة ألفا للنشر والتوزيع.
- ملفي الشهري بن حسن الوليدي. (2006). الحجامة علم وشفاء. ط1. دار المحدثين للتحقيقات العلمية والنشر.
- مصباحي بلقاسم. (2007). الحجامة بين الطب والشريعة. الجزائر: دار الهدى.
- صهباء محمد بندق. (2008). الحجامة بين العلم والأسطورة. ط1. القاهرة: دار السلام.
- رزق شرف أحمد. (2005). الأسس العلمية للمعجزة النبوية. مصر: مكتبة أولاد الشيخ.
- خالد جاد. (2013). موسوعة الطب البديل، ط1. القاهرة: دار الغد الجديد للطباعة والنشر والتوزيع.
- غسان جعفر. (2005). الحجامة العلاج بكاسات الهواء. الجزائر: دار الكتاب الحديث.
- Jiang. L. (1996). A miraculous spinal pinching therapy, journal of traditional chinese medicine; 16 (3).
- Morin. Y et al . Ecyctopédie médical en 4 volumes , 17 rue du Montparnasse 75298 : Paris cedex 06 .
- (زيارة [https://mawdoo3.com/\(2021/05/02\)](https://mawdoo3.com/(2021/05/02)) مفهوم الطب الرياضي)